بصائر للإنسان

قال الشيخ الصالح:

أخى المسلم.. لقد خلقك الله على فطرة الإيمان والتوحيد وجعل لك جوارح تحس وقلباً يشعر ويبصر وعقلاً يفكر ويدرك وأشهدك على نفسك بما فيك من استعداد حسى وشعوري وفكرى بأن الله واحد لا معبود سواه وأخذ عليك ميثاقاً بالإيمان بوحدانيته والوهيته وربوبيته وباتباع رضوانه بالطاعة واجتناب المعاصى والتمسك بالعروة الوثقى ليكون ذلك الميثاق حجة عليك يوم الحساب. وقد قبلت حمل هذه الأمانة فعليك بحملها بإحسان. عن ابن عباس: «الأمانة هى الطاعة عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم: إنى عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال يارب ومافيها؟ قال إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فحملها».

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة». يقول الله تعالى: ﴿...فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [الروم: ٣٠].

فهل حافظت على فطرتك وحملت الأمانة بإحسان أم اتبعت الهوى والشهوات واجتالتك الشياطين عنها فضيعتها وكنت من الضالين؟ يقول الله تعالى:

﴿...وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ...﴾ [القصص: ٥٠].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ... ﴾ [النور: ٢١].

﴿ ...إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «يقول الله تعالى: إنى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم».

وإنه من الحمق أن يغتر الإنسان بكرم ربه فيترك طاعته وهو الذى خلقه وصوره فى أحسن صورة وخصه دون سائر الحيوان بالعقل والتفكير فمن يجحد نعمة الله جزاؤه النار ومن يؤمن ويعمل صالحا فجزاؤه النعيم. يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ [الانفطار: ٦، ٧].

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين: ٤ - ٦].

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ٢، ٣].

فلا ينجو من النار إلا من يؤمن ويعمل صالحاً ويدعو إلى اتباع الحق وإلى الصبر على تحمل مشقات الصالحات. يقول الله تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ١ - ٣].

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]

﴿ ...فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

﴿ ...فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا... ﴾ [يونس: ١٠٨].

وإنه من الحمق أن يظن الإنسان أن عباداته ودعواته تنجيه من النار دون أن يعمل صالحاً ويجتنب ما يغضب الله. فإن من لم تنهه صلاته وصيامه وزكاته وحجه عن الفحشاء والمنكر وتحثه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفعل الخيرات وطاعة الله فى كل حركة من حركاته فى الحياة فإنه يكون يوم القيامة من المفلسين فلا تنفعه صلاته ولا صيامه ولا زكاته ولا حجه ولا دعواته. قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار». وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى: «ادعونى أستجب لكم»؟ قال: لأن قلوبكم ميتة. قالوا: وما الذى أماتها؟ قال: ثمان خصال: عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال الله تعالى: «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا» فواطأتموه على المعاصى، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم». إن الله تعالى لا يستجيب للعصاة وإنما يستجيب لعباده المتقين الصالحين المعتصمين به والمتوكلين عليه.

ومن الحمق أن يظن الإنسان أن ما عنده من سعة فى الرزق دليل كرامته عند الله ويظن أن الله يحبه ويحسن إليه ويميزه عن غيره بمتاع الحياة الدنيا، وأن يظن أن ضيق الرزق دليل إهانته عند الله وأن الله لا يحبه ويضيق عليه

رزقه. فإن الله تعالى يعطى المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب امتحاناً للإنسان ليبلوه فى الحالين هل أطاع الله وحمده وشكره إن وسع عليه رزقه وهل أطاع الله وصبر وقنع ورضى إن ضيق عليه رزقه. يقول الله تعالى:

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥، ١٦].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴿٨﴾﴾ [الكهف: ٧، ٨].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ومن الحمق أن ينسى الإنسان ربه وقت الرخاء ولا يذكره إلا عند البلاء، فإذا ما أنعم الله عليه بالصحة وسعة الرزق أعرض عن ذكره واستكبر ونأى بجانبه عن طاعته ولم يفكر فى فضل الله عليه، وإذا ما أصابه مرض أو فقر رجع إلى الله ودعاه واستغاث به وسأله أن يشكف عنه الضر. يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

فاحفظ الله فى السراء والضراء يحفظك الله ولا تجزع إذا أصابك شر ولا تمنع إذا جاءك خير وكن من المصلين المتفرغين بقلوبهم للزلفى إلى الله ومن المتصدقين ومن المواظبين على الطاعات إيماناً بيوم الحساب وخشية العذاب، وكن من المحافظين على فروجهم من الفحشاء ومن المحافظين على أماناتهم وعهدهم فى أمور دينهم ودنياهم ومن المؤدين الشهادة بالحق. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً

﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٣٥].

ومن الحمق أن يغفل الإنسان عن الآخرة والحساب يوم تنكشف أعماله أمامه وينبأ بما قدم وآخر وتشهد عليه جوارحه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه فيبرئها مما ارتكبت فى الدنيا مهما التمس من أعذار. يومئذ يتذكر كل ما عمل فى الدنيا من خير أو شر ولا تنفعه الذكرى ويجازى على عمله. فأما من آمن وأطاع الله فإنه يحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنة وأما من عصى وفضل شهوات نفسه على رضا الله ولم يعمل لآخرته فإنه يحاسب حساباً عسيراً ويدخل النار ويعذب عذاباً شديداً ويندم ندماً شديداً. يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٦ - ١٢].

﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلاَّ لا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٠ - ١٥].

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: ٣٥].

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفجر: ٢٣ - ٢٦].

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨].

اللهم قد بلغت . . اللهم فاشهد.